

تفسير البغوي

54 - قوله تعالى : { ومكروا } يعني كفار بنى إسرائيل الذين أحس عيسى منهم الكفر وبروا في قتل عيسى عليه السلام وذلك إن عيسى عليه السلام بعد إخراج قومه إياه وأمه عاد إليهم مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة فهموا بقتله وتواتئوا على الفتوك به بذلك مكرهم قال الله تعالى : { ومكر الله و الله خير الماكرين } فالمكر من المخلوقين : الخبث والخديعة والحيلة والمكر من الله : استدراج العبد وأخذه بفتة من حيث لا يعلم كما قال : { سنستدرجهم من حيث لا يعلمون } (182 - الأعراف) وقال الزجاج : مكر الله مجازاتهم على مكرهم فسمي الجزاء باسم الابتداء لأنه في مقابلته كقوله تعالى : { الله يستهزء بهم } (15 - البقرة) { وهو خادعهم } (142 - النساء) ومكر الله تعالى خاصة بهم في هذه الآية وهو إلقاء الشبه على صاحبهم الذي أراد قتل عيسى عليه السلام حتى قتل .

قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس Bهما : أن عيسى استقبل رهطا من اليهود فلما رأوه قالوا : قد جاء الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة وقدفوه وأمه فلما سمع ذلك عيسى عليه السلام دعا عليهم ولعنهم فمسخهم الله خنازير فلما رأى ذلك يهودا رأس اليهود وأميرهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى عليه السلام وشاروا إليه ليقتلوه فبعث الله إليه جبريل فادخله في خوخة في سقفها روزنة فرفعة الله إلى السماء من تلك الروزنة فأمر يهودا رأس اليهود رجلا من أصحابه يقال له : ططيانوس أن يدخل الخوخة ويقتله فلما دخل لم ير عيسى فأبطأ عليهم فطنوا أنه يقاتلها فيها فألقى الله عليه شبه عيسى عليه السلام فلما خرج طنوا أنه عيسى عليه السلام فقتلوه وصلبوه قال وهب : طرقوا عيسى في بعض الليل ونصبوا خشبة ليصلبوه فأظلمت الأرض فأرسل الله الملائكة فحالت بينهم وبينه فجمع عيسى الحواريين تلك الليلة وأوصاهم ثم قال : ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصبح الديك ويبعيوني بدرهم يسيرة فخرجوا له ثلاثين درهما فأخذوا ودلهم عليه ولما دخل البيت ألقى الله عليه شبه عيسى فرفع عيسى واحد الذي دلهم عليه فقال : أنا الذي دللتكم عليه فلم يلتفتوا إلى قوله وقتلوه وصلبوه وهم يطئون أنه عيسى فلما صلب شبه عيسى جاءت مريم أم عيسى وامرأة كان عيسى دعا لها فأبرأها الله من الجنون تبكيران عند المصلوب فجاءهما عيسى عليه السلام فقال لهم : علام تبكيران ؟ أن الله تعالى قد رفعني ولم يصبني إلا خير وإن هذا شئ شبة لهم فلما كان بعد سبعة أيام قال الله عيسى عليه السلام : أهبط على مريم المجدلانية اسم موضع في جبلها فإنه لم يبك عليك أحد بكاءها ولم يحزن حزنها ثم ليجتمع لك الحواريون فيثهم في

الأرض دعاء إلى الله فأهبطه الله عليها فاشتعل الجبل حين هبط نوراً فجمعت له والحواريين
فبثهم في الأرض دعاء ثم رفعه الله إليه وتلك الليلة هي التي تدخل فيها النصارى فلما
أصبح الحواريون حدث كل واحد منهم بلغة من أرسله عيسى إليهم فذلك قوله تعالى : { ومكروا
ومكر الله وله خير الماكرين } .

وقال السدي : عن اليهود حبسوا عيسى في بيت وعشرة من الحواريين فدخل عليهم رجل منهم
فاللقى الله عليه شبهه وقال قتاده ذكر لنا أن النبي الله عيسى عليه السلام قال لأصحابه أياكم
يقذف عليه شبهي فإنه مقتول فقال رجل من القوم : أنا يا النبي الله فقتل ذلك الرجل ومنع
الله عيسى عليه السلام ورفعه إليه وكسره الله الريش والبسه النور وقطع عنه لذة المطعم
والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم حول العرش وكان انسيا ملكيا سمائيا أرضيا قال أهل
التواريخ : حملت مريم بعيسى ولها ثلاثة عشرة سنة وولدت عيسى ببيت لحم من أرض اوري سلم
لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على أرض بابل فأوحى الله إليه على رأس ثلاثين سنة
ورفعه الله من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاثة وثلاثين سنة فكانت نبوته
ثلاث سنين وعاشت أمّه مريم بعد رفعه ست سنين